المنهج الاجتماعي :

فالعقاد من خلال كتابه هذا "يحدثنا عن مزاج ابن الرومي، وأثره في إسرافه في كل شهوات النفس والجسد، وأثر هذا الإسراف ذاته في مزاجه، وأثرهما معا في وساوسه وأثر هذه الوسوسة في استطراداته الشعرية وهي نموذج لمواضيع كثيرة في الكتاب".[1]

يعني أن العقاد درس حياة ابن الرومي وشعره اعتمادا على حالته النفسية وكل ما يتعلق بها ويخصها.

ونستنتج من كل ما سبق أن أتباع المنهج النفسي يدرسون النّصوص الأدبية من خلال الاهتمام المفرط بمنطقة اللاشعور الخاصة بالأديب وكل ما يخصه، فقد أولوا اهتماما مبالغ فيه بالجانب النفسي لصاحب النّص، وحكموا على النّص فقط من خلال هذا الأخير ممثلين بذلك الجانب الفني والجمالي والمعنوي للعمل الأدبي.

المبحث الثالث: النّص الأدبي والمنهج الاجتماعي.

أولا: لمحة المنهج الاجتماعي:

يعتبر هذا المنهج " من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد انبثق هذا المنهج تقريبا من حضن المنهج التاريخي، وتولد فيه، و استقى منطلقاته الأولى منه".[2] فهذا المنهج يربط الأدب بالمجتمع الذي ولد فيه، وأطلق على هذا المنهج "بالنقد الواقعي أو الاجتماعي أو الماركسي وأحيانا اليساري، وجميعها تشير إلى النقد الذي ينظر إلى الأدب على أنه نتاج طبيعي للسياق الواقعي والفكري ويتعامل معه من منطلقات ومفاهيم استمدها غالبا من الفكر الماركسي".[3]

فالمنهج الاجتماعي إذن هو المنهج الذي "لا ينظر إلى الأديب بوصفه فردا يتعلق عن ذاته، أو ينشأ أدبه في فراغ بمعزل عن حركة التاريخ وظروف المجتمع، وإنّما يعكس بأدبه طبيعة المجتمع وحركته

---

[1]- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص239.

[2]- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص45.

[3]- نفس المرجع ص24.

وتطوره من ناحية، وعلاقته الحميمة بهذا المجتمع باعتبار أدبه أثرا اجتماعيا، و باعتبار المجتمع متلقيا أساسيا، بل المتلقي الوحيد المقصود بهذا الأدب".[1]

"ولعل أقدم تناول مباشر للمنهج الاجتماعي يرجع إلى هيجل (1831)الذي ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية، مستنتجا أن الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية وما تملكه من هو هواجس أخلاقية وتعليمية".[2]

ومن أبرز رواده عند الغرب:

مدام دوستال: هي من النقاد الذين اهتموا بالمنهج الاجتماعي وكانت لها نظرة خاصة في كتابها لأدب وعلاقته بالأنظمة الاجتماعية.

جورج لوكاش: "هو أعلى مؤشر في النقد الماركسي، وهو مجرى يكتب عادة في اللغة الألمانية، ويرى أن الأدب ظاهرة تاريخية".[3]

"جالفا نوديلا فرنب: مؤلف 'نقد الذوق' وصدر عام 1960 وهو أستاذ جامعي".[4]

أما عند العرب:

"فمن أبرز نقاد هذا الاتجاه محمد مندور، وقد بشر بالاشتراكية... وكتب المقالات الاجتماعية والسياسية مطالبا بإصلاحات شاملة".[5]

ونجد أيضا غالي شكري وحسين مروة، ونجيب العرقي، وعمر فاخوري وغيرهم.

ثانيا: النص الأدبي والمنهج الاجتماعي:

---

[1]- إبراهيم السعافين: خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية للبحث للتسويق والتوريدات، ط2، 2013، القاهرة ص96.

[2]- الوارث الحسن، المنهج الاجتماعي: من العصر والعرق إلى رؤيا العالم، نشر في صفحة الأدبية، يوم 27-07-2011، تغريد.

[3]- رينيك أندرسون إموت، مناهج النقد الأدبي ص121.

[4]- المرجع نفسه ص 124.

[5]- أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، القاهرة ط1، 1998، ص 153.

إن "انفتاح مفهوم النص الأدبي على العالم، وتحول دلالته من الإشارة إلى نص قائم بنفسه، مكتف بذاته، إلى نص متناص، لا يكف عن الإشارة إلى ما يصله بغيره من النصوص الأدبية وغير الأدبية، فالخطاب النقدي ممارسة اجتماعية في التحليل الأخير، فهو نص محكوم بماضيه الصامت الذي يدفعه إلى النطق في الحاضر... لكن من منظور فاعل الخطاب الذي يتحول، بدوره إلى وسط اجتماعي، هو تمثيل لعلاقات القوة والسلطة في المجتمع بمعنى أو بآخر".[1]

فالأديب "يشترك مع أفراد طبقته الاجتماعية والتجربة التي يعبر عنها يشاركه فيها أفراد آخرون، ومحتوى عمله ينهض على ملاحظة التصرف الإنساني، والعمل نفسه ينعكس في ضمير القراء الاجتماعي".[2]

لقد تأثر النصوص الأدبية بالصراعات الطبقية والثورات القائم في المجتمعات، فقد ظهرت "قوى جديدة أو كامنة البورجوازية الليبرالية، البورجوازية الصغيرة و'الطبقة المفكرة' حسب عبارة شافدال الباحثة عن ذاتها ناحية الشعب، الطبقات الجديدة كما سماها غامبيتا Gambetta فيما بعد الطبقات الكادحة".[3] فهذه التقسيمات الاجتماعية قد أثرت وبشكل مباشر على النص الأدبي، فحسب رأي "مدام دوستال أن الأدب يتغير بتغير المجتمعات وحسب تطور الحرية فهي تتماشى وتطور العلم والفكر والقوى الاجتماعية، والأدب دوما نقد ودعوة إلى شيء ما في آن معا".[4]

فقد أصبح الكاتب يواجه "صراع بين مفهومه الشخصي، الحياة الاجتماعية وإرادته الجمالية في رسم الواقع كما يراه مثلا كالصراع بين القناعات والأوهام عند بلزاك، وردود أفعاله المتوهمة والصدف القوى

---

[1] - عبد الله عنبر: المناهج النقدية والنظريات النصية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 37، العدد1-2010، ص 98، نقلا عن عصفور: آفاق العصر ص 100-101.

[2] - إيريك أدرسون اموت: مناهج النقد الأدبي، ت. الطاهر أحمد مكي: مكتبة الآداب، القاهرة، 1991، ص120.

[3] - مجموعة من الكتاب: ت. رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ص 134.

[4] - المرجع نفسه ص 142.

الذي أعلن معه سقوط النظام الاجتماعي في عصره".[1] فالنّص الأدبي "ليس ينزعا سطر، عرضا فوق الأفراد، وإنّما إبداع فرد في مجتمع تحكمه عوامل كثيرة من الاقتصادية حتى الإيديولوجية... العمل ليس مجرد انعكاس للمجتمع فحسب، وإنما يظهر ع غاياته ذاتها، ويحرك مشاعر القراء، وبهذا المعنى سهم في تطوير المجتمع".[2]

وقد أصبح النّص الأدبي عند أتباع المنهج الاجتماعي عمل والكاتب منتج والقارئ مستهلك، ففقد النص الأدبي أثره الجمالي والفني بعد أن أصبح في نظرهم عمل اجتماعي يقوم به منتج تستهلك طبقة معينة من المجتمع. "وقد اختار إسكاربيه جانب المجتمع في كتابه 'علم الأدب الاجتماعي' عند تخطيطه للظاهرة الأدبية: الإنتاج (الكاتب ووسطه...)والتوزيع (الطبع، والبيع...)، والاستهلاك (معنى القراءة اجتماعيا من جانب الجمهور مباشرة".[3]

وهذا أكبر دليل على أن النص الأدبي أصبح سلعة تباع وتشترى وليست فنا يصل إلى ذوي الذوق الفني والجمالي، وهذا راجع إلى التقسيمات الاجتماعية التي كانت في المجتمع.

"وعلى هذا النحو أخذ الأدب يدرس اجتماعيا من وجهات متعددة، ووجد الدارسون مادة خصبة في العصور وتطورها حضاريا أو صناعيا"[4]، وهذا أكبر دليل على أن النّص كان يعامل على أنه عمل، أو صناعة، وأخذ يتطور مع مرور الزمن، ويرجع ذلك إلى "ما حدث من تغير في حياة العامل وأسرته ومعيشته في بيئات مكتظة بالسكان... ومن المؤكد أن الظروف المادية الاقتصادية للأدباء أخذت في الحسن مع انتشار الاشتراكية".[5]

"كانت الماركسية والواقعية تعمل جنبا إلى جنب في تعميق الاتجاه إلى الاعتداد بالنقد الاجتماعي،

---

[1]- إيريك أدرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ت. الطاهر أحمد مكي، ص122.
[2]- المرجع نفسه ص125.
[3]- المرجع نفسه ص127.
[4]- شوقي ضيف: البحث الأدبي ص101.
[5]- المرجع نفسه ص 101.

وبمنظور التلازم بين البنى الاجتماعية من ناحية والنصوص الأدبية من ناحية أخرى".[1]

يرى "جورج لوكاش فيلسوف الواقعية الأكبر في النصف الأول من القرن، وذلك عند مادرتس وحلل العلاقة بين الأدب والمجتمع باعتبار الأدب انعكاسا وتمثيلا للحياة، وقدم بعض الدراسات الأخرى".[2]

بمعنى أن النص الأدبي انعكاس للحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع من المجتمعات وجاء بعد "لوكاش أكبر منظر لهذا التيار هو لوسيان جولدمان... يرى جولدمان أن الأعمال الأدبية لا تعبر عن الأفراد، وإنما تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة".[3] بمعنى أن الأديب يعكس رؤية الجماعة التي ينتمي إليها.

تأثرت النصوص الأدبية "بنظرية الإيديولوجيات على الأدب، وعلى مرسم الطبقات الجتماعية، وخصائص الحركات التاريخية الكبرى".[4]

فالنص الأدبي يعكس الواقع الاجتماعي لجماعة معينة في فترة معينة وهو نسيج لغوي مغلق، "ولعل السمة الغالبة في نظرة المنهج الاجتماعي للنص هي رفضه التعامل معه باعتباره بنية لغوية مغلقة، إن هذا التعامل الضيق يتنافى مع المبادئ الماركسية التي يتبناها ويحرص على تطبيقها في تعامله مع الظاهرة الأدبية، وينظر إلى النص الأدبي باعتباره مضمونا إيديولوجيا يعكس واقع الطبقات الاجتماعية المختلفة".[5] بالتالي هو مرآة تعكس الطبقات الاجتماعية المختلفة وتظهر الصراعات القائمة في المجتمع سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية لأن من أهم مبادئ المنهج الاجتماعي "فكرة الانعكاس في العمل الأدبي بمعنى أن كل نص من النصوص الأدبية يعكس الواقع الاجتماعي

---

[1]- صلاح فضل: مناهج النقد الأدبي ص48.

[2]- المرجع نفسه ص 57.

[3]- المرجع نفسه ص 58.

[4]- إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ت. الطاهر أحمد مكي، ص128.

[5]- محمد يوب: النص الأدبي المعنى والمبنى، الحوار المتمدن، العدد 3679-2012.

والتغيرات الطارئة عليه لكن هذا الانعكاس يبقى في حدود الآلية التي تعتبر النص الأدبي بالضرورة تصوير وانعكاس للبيئة التحتية".[1]

لقد استعمل المنهج الاجتماعي في النقد العربي الحديث عند بعض النقاد ومن بينهم عبد المحسن طه بدر الذي استخدمه في كتابه (الروائي والأرض) عن رواية (الأرض) لعبد الرحمن الشرقاوي قال: "والواقع أن ثمة فارقا أساسيا وجذريا بين رواية الشرقاوي للعربية وبين رؤية المؤلفين السابقين عليه برغم ما يبدو أحيانا من مظاهر التشابه بين قرية الشرقاوي وقريتهم، ويتمثل هذا الفارق بصورة أساسية في أن الموضوع عند من سبقوا الشرقاوي كان مضحي به من أجل مشكلة الأديب أو فكرته. وانتفت من مثل هذه الرؤية العلاقة الايجابية والدينامية بين الذات والموضوع وأصبح كل طرف من طرفي العلاقة يقف مفصولا عن الآخر. أحدهما قاض والآخر محكوم عليه. أما عند الشرقاوي فثمة علاقة ايجابية ودينامية بين الذات و الموضوع: ليس ثمة قاض ومحكوم عليه، ليس ثمة دائن ومدان ولكن تفاعل بين الذات والموضوع. لا يفقد أحد طرفي العلاقة وجوده من أجل الآخر. وإذا كانت القرية عند من سبقوا الشرقاوي ليست ذاتها ولكنها قرية المؤلف الخاصة فإنها عند الشرقاوي تحاول أن تكون ذاتها وأن تتحرك حركتها الخاصة والمستقلة...".[2]

---

[1] – المرجع نفسه.

[2] – فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط1–1989، ص 181.